

من بعض مظاهر التداولية في تعليمية تحليل النصوص الأدبية بالمرحلة الثانوية الجزائرية

أ/ محمد هادف

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار - عنابة

Résumé:

Les études linguistiques ont opéré, durant notre ère, une avancée gigantesque, ce qui a engendré un rapprochement sans précédent entre divers domaines scientifiques. Parmi les recherches qui ont procédé ce rapprochement, la pragmatique, qui a jeté regard au monde basé sur la pragmatique, et lui a réservé les moyens et mécanismes méthodologiques qui lui ont permis de réaliser les objectifs prédéfinis, de ce fait elle a pu trouver les réponses adéquates à un grand nombre de questions restées sans réponse depuis longtemps.

La didactique, comme les autres sciences humaines et sociales, a bénéficié du grand élan de la pragmatique, elle s'est rapprochée de cette théorie dont les résultats ont paru garantis. Les didacticiens ont développés leurs recherches autour des concepts de la pragmatique, qui paraît comme l'étude des différentes utilisations de la langue dans les situations de communication, et ce qu'elle engendrent comme impact et réaction entre l'émetteur le récepteur, à travers les intentions du premier et l'impact qu'elles produisent sur le second dans un contexte précis.

A partir de cette problématique, nous avons essayé dans cet article de découvrir les moyens sur lesquels s'est basée la didactique dans l'analyse des textes littéraires dans l'école secondaire en Algérie.

المخلص:

لقد خطت الدراسات اللسانية خلال هذا العصر خطوات عملاقة، شهد خلالها الدارسون تقارباً بين عدّة مجالات من العلوم، لعل من أهمها الاتجاه التداولي، وذلك لأنه تم النظر من خلاله إلى الواقع بمعيار براغماتي (نفعي)، وسخر له وسائل وآليات منهجية مكنته من تحقيق أهداف محددة سلفاً، فأجيب بذلك عن أسئلة كثيرة ظلت عالقة بأذهان الدارسين والباحثين إلى حين من الدهر .

وكغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية ولم تكن التعليمية بمنأى عنه، ولا أقل حظاً من غيرها، فاقتربت من هذا المنهج الذي بدت نتائجه مضمونة، وأخذ منه المشتغلون ما يفيدهم ويطوّر بحوثهم، ولا سيما أنه عبارة على مقارنة تهتم بدراسة مختلف استعمالات اللغة في مواقف متعددة من التواصل، وما يترتب على ذلك من تأثير واستجابة من المرسل والمتلقي، بدءاً بمقاصد الأول ونواياه وانتهاء بالتأثير الذي ينتقل إلى الثاني في مقام معين.

وانطلاقاً من هذه الفكرة، يسعى هذا المقال إلى الكشف عن الوسائل التي اعتمدتها التعليمية في عملية تحليلها للنصوص الأدبية بالمرحلة الثانوية الجزائرية .

المقدمة:

لقد خطت الدراسات اللسانية خلال هذا العصر خطوات عملاقة شهد خلالها الدارسون تقارباً بين عدّة مجالات من العلوم في بعض الأحيان، وتداخلاً في أحيان أخرى، فبنيت جسور للتواصل سمحت بتسويق مناهج فاضلت غيرها نجاعة ودقة، لعلّ من أهمها المنهج التداولي، وذلك لا لشيء إلا لأنّه نظر إلى الواقع بمعيار براغماتي (نفعي) وسخر له وسائل وآليات مكنّته من تحقيق أهداف محدّدة سلفاً . فأجيب بذلك على أسئلة كثيرة ظلت عالقة بأذهان الدارسين والباحثين إلى حين من الدهر .

وكغيرها من العلوم الإنسانية لم تكن التعليمية بمنأى عن هذا المنهج، ولا أقلّ حظاً من غيرها، فاقتربت منه إذ بدت نتائجها مضمونة، وأخذ منه المشتغلون به ما يفيدون منه ويطور بحوثهم، لكونه عبارة عن مقارنة تهتم بدراسة مختلف استعمالات اللّغة في مواقف متعدّدة من التواصل، وما يترتب على ذلك من تأثير واستجابة من كل من المرسل والمتلقي بدءاً بمقاصد الأول ونواياه وانتهاءً بالتأثير الذي ينتقل إلى الثاني في مقام معين .

وبذلك تجاوزت الدراسات اللسانية النظرة إلى اللّغة على أنّها نظام لساني يدرس لذاته ومن أجل ذاته إلى النظر إلى اللّغة كوسيلة للتواصل والتفاعل بين الأفراد داخل المؤسسة الاجتماعية تدرس من زوايا متعددة خارجة عن اللّغة ذاتها .

ومن ثم فالمنهج التداولي يلتقي مع التعليمية" التي ينظر إليها كنسق أو نظام من العلاقات والتفاعلات الدينامية لعدد من العناصر والمكونات التي تعمل في تآزر لتحقيق هدف محدّد." (1)

يتمثل في الفهم والإقناع الذي ينتج عن تبني موقف أو مواقف تتحوّل إلى مبادئ ترسخ في سلوكنا نقوم للدعوة والانتصار لها والدفاع عنها.

وإذا كانت التداولية تولي اهتماماً لجملة من العناصر عند تحليلها للنص/ الخطاب ليتحقق بها الغرض منه، فإنّ تعليمية تحليل النصوص في المرحلة الثانوية ببلادنا تقوم هي الأخرى على العناصر نفسها وهي: (السّياق، الجّدة والقدم، والوضوح والغموض في الأفكار، العمق والسطحية في المعنى، التراكيب النحوية والأساليب البلاغية والعاطفة والمحسنات اللفظية والمعنوية).

ففيما تتجلى مظاهر التداولية في تعليمية تحليل النصوص الأدبية لهذه المرحلة؟ وهل يكون ذلك على مستوى الأهداف المخطط لها، أو على مستوى الخطوات المتبعة في عملية التحليل؟ أم على المستويين معاً؟

ولإبراز مظاهر هذا التجلي يحسن بنا في هذا المقام ذكر عناصر هاته وتلك؛ حتى يتمكن القارئ من الربط بين محاور هذا المقال .

أولاً - الخطوات المتبعة لتحليل النص الأدبي في المرحلة الثانوية :

إن تعليمية تحليل النص في المرحلة الثانوية بالمدرسة الجزائرية تهدف بشكل عام إلى نقل معارف وخبرات وتجارب الآخر إلى المتعلمين بصفتهم متلقين، قصد تحقيق تواصل إيجابي مع الماضي والحاضر عمودياً وأفقياً.

ولما كانت النصوص في المقررات الدراسية لهذه المرحلة تتنوع بدءاً بالنص القرآني والحديث الشريف إلى الأدبي بمختلف أنواعه وأشكاله، فإن أهدافها تختلف وتتعدد حسب محتوياتها ومضامينها الفكرية والأدبية.

وهي تنقسم إلى ما يأتي :

أولاً: الأهداف العامة: وترمي إلى:

- 1- التعمق في فهم اللغة وآدابها .
- 2- تمكين الصلة بتراث الأمة الفكري واللغوي والأدبي ترسيخاً لروح الانتماء والحضاري.

3- التعمق في فهم المحيط الثقافي والاجتماعي والتفاعل معه .

4- إكساب المتعلمين منهجية التفكير والعمل على إعدادهم لمتابعة الدراسات العليا.

ثانياً : الأهداف الخاصة :

أ- الأهداف الخاصة بالجانب اللغوي : وتسعى إلى :

1. دعم مكتسبات المتعلم في علوم اللغة وتعميقها.
2. إثراء رصيده اللغوي، وتدريبه على التحكم في استعمالته للغة.
3. إكسابه القدرة على التحليل والتفسير والتعليل والحكم ودقة الملاحظة.

ب- الأهداف الخاصة بالجانب الأدبي : وتتشد ما يأتي :

1. التعرف على فنون الأدب وأغراضه وتطوره وخصائصه .
2. الاطلاع على عينات من النصوص الأدبية في مختلف العصور .
3. التعرف على شخصيات أدبية وفكرية طبعت عصرها بإنتاجها الفكري المتميز .
4. تنمية مواهب المتعلم الإبداعية وملكة الذوق الأدبي.
5. التحكم في المصطلحات الأدبية والفنية وتوظيفها في التحليل والنقد والتعبير والبحث الأدبي⁽²⁾.

ثالثا : الأهداف الإجرائية :

وتتطلب صياغة إجرائية دقيقة تتحول بموجبها الأفعال اللغوية إلى سلوكيات قابلة للإنجاز، تظهر في الواقع اللغوي الفعلي، قابلة للملاحظة والقياس والتقييم يحددها أصحاب هذا المذهب بأن يصبح المتعلم: يعرف، يتحكم، يوظف، يحلل، ينقد، يعبر، يستنتج ... وذلك وفق منظور السلوكيين .

وقبل الشروع في عرض منهجية وتحديد خطوات تحليل النص في هذه المرحلة، لابد من التساؤل.

إلى أي مدى تنسجم هذه الأهداف مع النصوص المقررة ؟ وهل تلتقي مع ما تهدف إليه التداولية في مختلف أبعادها ؟ .

وما هي ملامح التداولية التي تتجلى فيها ؟، إذا علمنا أن هذه الأهداف ترمي إلى إكساب المتعلم معارف يتفاعل معها ويتأثر بها فتعدل من سلوكه، ومن ثم تعطيه القدرة على مواجهة مشكلات الحياة اليومية ممثلة في المنفعة ؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة، يتعين التقرب من الواقع التعليمي وملازمته، واستنادا إلى تجربتنا المكتسبة في التدريس لهذه المرحلة، فإنه يمكننا القول بأن هذه الأهداف وإن بدا انسجامها مع النصوص المقررة نسبيا، فهي تتقاطع مع مبادئ التداولية في أبعادها وغاياتها ممثلة في شروط تحقق الخطاب مثل الطريقة التي يستطيع بها متحدثان التأثير بعضهما في البعض⁽³⁾، ليحصل الفهم الذي يحقق التصرف بالمعرفة التي يتحول بموجبها الفعل إلى سلوك.

ثانيا - منهجية تحليل النص الأدبي:

إن منهجية تحليل النص الأدبي لهذه المرحلة تتم على مستويين :
 أولهما يتم عبر شرح المعنى الإجمالي للنص وذلك دون تذليل للصعوبات اللغوية التي تعترض المتعلم، ومنه يتم تحديد الفكرة العامة للنص، ثم يقسم النص إلى وحدات جزئية تستخلص لكل وحدة فكرة أساسية تناسب مضمونها، وهذا بعد توظيف مجموعة من العمليات كالتقليص أو التخليص أو التوسع أو التحليل، وذلك اختبارا للفهم.
 وثانيهما يتم عبر مرحلة التحليل والنقد واستنباط الأحكام، ولعلّه يمكننا القول بأنّ مظاهر التداولية تتجلى عبر خطوات هذه المرحلة، كونها تقوم على العناصر التالية :
 المرسل وقصده ونواياه، المتلقي والسياق، وما يترتب عليها من تأثير وتفاعل بين المرسل/الأستاذ، والمتلقي/المتعلم من ناحية والمتعلم والنص من ناحية أخرى .

1 نقد الأفكار :

أ/ من حيث النوع والغرض:

ويتم خلالها تحديد الإطار العام للنص من حيث النوع والغرض والتعريف بمنشئه بالتركيز على الحالة الشعورية أو التجربة التي مر بها وهو ينتج النص، وتحديد مناسبته، ولعل هذا العنصر يعد من أهم مظاهر التداولية المعاصرة التي تهتم أكثر بمقاصد المتكلم / المرسل ونواياه، بحيث تعمل على توجيه الخطاب أو النص، وتساهم في إنجاحه منذ البداية كما تهتم بدراسة الحالة الذهنية للمؤلف تلك الحالة التي تسبق ظهور القصيدة⁽⁴⁾ .
 وعليه، فتحديد الإطار العام للنص، يضع المتعلم / المتلقي في مجال محدد من الدلالة يسهل تقييمه وتعديله وتقويمه، فنص أبي القاسم الشابي "إلى الطغاة"⁽⁵⁾ المقرر لطلبة القسم النهائي عبارة عن أحد الخطابات السياسية التي ارتبط ظهورها بالحركات التحررية في الوطن العربي والتي تبرز بشكل جلي مواقف أصحابها من الاستعمار، وتحملهم مسؤولية إيقاظ النفوس وشحن الهمم، ومن ثم فهو يقصد إلى بعث الروح الوطنية، وتقوية النزعة الثورية، للوقوف في وجه الطغاة الظالمين .

في حين أننا نجد نص " مطلع الفجر " لمفدي زكريا وهو من الشعر الملحمي الذي يتغنى بالبطولات والأعمال المجيدة والمناقب الوطنية الحميدة يقصد من خلاله إلى ترسيخ

الاعتزاز بمعالم الشخصية الوطنية والافتخار بها، وعليه فكلاهما يقتضي التركيز على السياق/المقام لما له من تأثير فعال في تهيئة الاستعدادات الوجدانية للمتعلمين، واستغلالها لإثارة ردود الفعل لديهم أو الاستجابة لتحقيق مبدأ القبول .

ب/ من حيث الجودة والقدم:

ويتناول هذا العنصر الأفكار على مستوى الطرح وما إذا كان صاحب النص سابقا أو مسبقا إليها، أو على مستوى المنهج المتبع في طريقة المعالجة، إذ قد يسجل أن الأفكار القديمة لم تعد متداولة لكن تمت معالجتها وفق منظور المناهج العلمية الحديثة (علم الاجتماع، علم النفس، علوم الاتصال... وغيرها) التي استفادت منها الدراسات اللغوية والأدبية لتصبح ضمن اهتمامات المتعلمين، أي داخل الحيز التداولي للمؤسسة الاجتماعية. فالجدة تعني بالضرورة التداول، وهي في نص الشابي؛ ظاهرة كونه يحمل أفكارا واكبت ظهور هذا الاتجاه الجديد في الشعر العربي (الشعر السياسي التحرري) الذي دعت إليه ظروف الاحتلال للبلاد العربية . فإذا ما أحسنت برمجة النص، ووافق ذلك مقتضيات حال الأمة والدعوة إلى التماسك والتآزر لقي النص / الخطاب هوى في نفوس المتعلمين / المتلقين، وحصل التأثير والتفاعل وتحقق الهدف منه، ممثلا في ترسيخ الانتماء الحضاري للأمة والذود عنها.

والشيء نفسه يمكن أن ينطبق على نص مفدي زكرياء الذي يهدف إلى بناء شخصية قوية لها أصولها وخصوصياتها الثقافية والفكرية، تتفاعل مع الآخر وتؤثر فيه ولا تتأثر به .

ومن ثم، فإن إيلاء أهمية للمقام وقصد المرسل ونواياه والظروف المحيطة التي أنشئ فيها النص تتحقق بها جميعاً الفائدة المرجوة، ويتحسن بها سير العملية التواصلية .

ج/ من حيث الترتيب والتسلسل والترابط:

وهي خطوة ذات بعد تعليمي تداولي بالمعنى النفعي تهدف إلى تدريب المتعلمين على بناء النص المنسقة أجزاؤه ليظهر هذا المبدأ في سلوكه العام، إذ التعليم يرمي إلى بناء شخصية منسجمة تتمتع بالقدرة على مواكبة روح العصر ومنتجاته.

ويقصد بالترابط العلاقة التي تربط الفكرة بسابقتها أو التي تليها، حيث تتنوع العلاقات لتفرض نسقاً معيناً من التتابع بين المتواليات، كأن تكون العلاقة سببية أو تكاملية أو شرطية بين أجزاء النص وهو ما يُفضي إلى الحكم بتوافر الوحدة العضوية، فالنص والحال هذه جسد واحد تتفاعل فيه أجزاؤه وتتكامل لتكون بنية دلالية متماسكة تُعرف بوحدة الموضوع، أما في حال اعتماد البيت فيعني ذلك غياب الوحدة العضوية وهو ما يتيح التصرف في أجزاء النص ومتالياته تقديماً وتأخيراً أو حذفاً دون أن يؤدي ذلك إلى إخلال بالمعنى.

أما ترتيب الأفكار وتسلسلها فيساعد المتعلم على اكتساب البناء المنطقي للمعرفة، ويمده بمنهجية تمكنه من التحليل النقدي للمقروء، والمفاضلة بين أساليب ما يعرض عليه من نماذج أدبية وفكرية ومن ثم نمو القدرة لديه على تمثيل وإنتاج أنواع بُنى نصية للتعبير عما تقتضيه أنواع الخطاب سياقاته المختلفة .

فنص الشابي ذو وحدة موضوعية، أفكاره متماسكة، وعلاقاته وطيدة بما قبلها، فالمتتبع لمسارها يجد أن الشاعر بدأه بصيحة في وجه الظالم المستبد في قوله :

ألا أيّها الظالم المستبدّ حبيب الفناء عدوّ الحياة⁽⁶⁾

وبعدها أنذره وتوعّده في قوله:

رويدك لا يخذعك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح

ثم يذكره بجرائمه قائلاً :

تأمل هناك أنى حصدت رؤوس الورى وزهور الأمل

ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدّم حتى ثمل

وفي الأخير يتنبأ له بالنهاية المحتومة جرّاء ما اقترفه من جرم، فالنتيجة منطقية لما سبقتها من مقدّمات . ويظهر ذلك في قوله :

سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

وهي أفعال لغوية تتضمن معنى الحدث والحركية جعل منها مسرحاً تتوالى فيه الأحداث على مرأى ومسمع من القارئ، وعليه فإذا كانت مصطلحات الترتيب والترابط

والانسجام من أهم المعايير التي تتحقق بها نصية النص⁽⁷⁾ فإنها أيضا تهدف إلى إقامة تواصل فاعل يتأثر من خلاله المتعلم /المتلقي بالنص وتتفاعل فيه جميع الأطراف .

د/ من حيث الوضوح والغموض:

وهذان العنصران عادة ما يعلنان بغرض النص، ونوع المتلقي أو الطبقة التي يتوجه إليها بالخطاب، فإذا كان الغرض تعليميا أو وطنياً على نحو ما جاء في نصي "الشابي" و"مفدي زكرياء" فإن ذلك يقتضي الوضوح والإبانة في المعاني، بهدف تحقيق تواصل ناجع، يحقق الفهم والإفهام والتأثير في المتلقي، فقد أشار الجاحظ إلى ذلك في معرض حديثه عن البيان بالقول أن "... البيان اسم جامع لكل شيء كشف لنا قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير (...)"، لأن الغاية التي يجري إليها القائل والسماع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع⁽⁸⁾.

ولما وكانت الوظيفة الأولى للغة هي التواصل، فإن الوضوح يعد مبدأ تعليميا تداوليا يهدف إلى تحقيق تواصل مفيد ينتهي إلى أثر يرسخ في نفوس المتلقين. أما الغموض وهو ما يشكل حاجزا يحول دون تحقيق تواصل مفيد لما يتخلله من عناصر للتشويش، فيعمل عادة بالتكلف والجري وراء الشكل على حساب المعنى، أو يرد إلى تلك الاتجاهات الحديثة في الأدب كالرمزية والسريالية وغيرهما.

هـ/ من حيث العمق والسطحية:

فالعمق يُعزى إلى نوع الألفاظ المستعملة في النص وما ينجم عنها من إحياء، فقد تتعدّد دلالاتها في سياق النص فتضفي على العبارة صفة العمق، وبذلك تؤدي إلى مفاهيم مختلفة ومتباينة تثير في المتلقين استجابات متنوعة، فالنص الذي تنتوّع دلالاته هو الذي يقبل بتعدّد القراءات، ويحقق أكبر قدر ممكن من التواصل والاستجابة لدى المتلقين . وهو أيضا مظهر تداولي يسعى إلى تحقيق أكبر استجابة لدى القارئ أو القراء من خلال عملية التأثير والتأثر وفق وسائل شتى تساهم في تحقيق المعنى، وهو ما يعرف في التعليمية بمبدأ الأثر والتجاوب الذي يكشف عن مدى قدرة الألفاظ والعبارات على إثارة اللذة والتجاوب مع النص.

أما السطحية فتعني المباشرة في معالجة الفكرة، وإن كانت تحقق تواصلا مع اقتصاد في الوقت والجهد فقد لا تؤثر في المتلقي، ومن ثم لا يحصل تجاوب مع النص، ولا تحقق المنفعة التي يقصد إليها صاحب النص، فالمعنى الذي ينطبع في نفوسنا هو الذي يكلفنا عناءً يتحول إلى متعة تمدنا بالقدرة على التحليل، التفسير والتأويل.

2- نقد الأسلوب :

يُستهل نقدُ الأسلوب وتحليل مكوناته بإصدار حكم عام يكشف عن الخصائص الأسلوبية لصاحب النص ويدفع المتعلمين إلى استحضار مكتسباتهم السابقة، ليتمكنوا من التعامل مع النص، فيحدث بذلك التفاعل، ويعتبر مثل هذا الإجراء شكلا من أشكال التحديد التي تحدّ من إهدار جهد المتعلمين فيما لا طائل من ورائه.

وتهتم دراسة الأسلوب بالجوانب التركيبية والبلاغية والأسلوبية تتضاف إليها جملة الأدوات التي تسهم في تشكيل الدلالات فيعرض إلى تحليلها، وبحث مقاصدها وما إذا كانت قد حققت الغرض الذي وظفت لأجله، وما مقدار تأثيرها على سير العملية التواصلية بشكل عام، وعلى المتعلم المتلقي بشكل خاص، بمعنى ما مقدار درجة القبول أو الاستحسان التي يبيدها المتعلم. وهما مظهران من مظاهر التداولية يحصل بهما الإقناع .

أ/ التراكيب: ويتم معالجة هذا العنصر من حيث:

وتتحدد بموجبها نوع الجمل ومن خلالها الزمن الذي يغلب عليها، فإذا كان ماضيا وافق السرد والتقرير، وإذا كان دالا على الحال دل على التجدد والاستمرار، وإذا كان دالا على الاستقبال دل على وجه اللزوم والتكليف والاستعلاء...

فمن مثل ما وافق التقرير ما جاء في نص مفدي زكريا الحافل بالأفعال الدالة على تقرير وقائع عاش حيثياتها المجتمع الجزائري، وبذلك فأسلوب التقرير أقرب إلى ملامسة الواقع، يوظف لتقريب معاني الأحداث من أذهان المتلقين، فيهتمون له، ومن ثم يحصل التفاعل الذي تتحقق به الفائدة، وذلك ما تلتي فيه التداولية مع التعليمية، الأفعال نحو (تأذن، وألقى) الدالة على الماضي و(تأبى ويأبى) الدالة على الحاضر المتجدد.

وفي نص الشابي (سخرت، عشت، رويت، أشربت)، وذلك في معرض حديثه على طريقة معاملة الاستعمار للأهالي، وتحمله مسؤولية الجرائم التي اقترفها في حق الأبرياء، ثم توظيفه للأمر على وجه التحدي والتهديد والوعيد في قوله "رويدك وتأمل" وجميعها ورد في تراكيب اتسمت بحسن تجاور عناصرها، ممّا أضفى عليها نغما مناسب إحساس الشاعر وجوّ الموضوع/ النص الذي ازداد وضوحا. بحشد النعوت والإضافات والمعطوفات المتتابعة، فمن النعوت : "الظالم المستبد، حبيب الفناء، عدوّ الحياة " ومن المعطوفات : "صحو الفضاء وضوء الصباح "، "قصف الرعود وعصف الرياح " و"رؤوس الورى وزهور الأمل"، فهي تراكيب ذات نغم خاص يطبع شعر كثير من الرومانسين، ترمي إلى إثارة مشاعر المتلقي / المتعلم وشحنها بما يقتنع بقضيته العادلة، فينهض للدفاع عن أرضه ودمه وعرضه .

ب/ الصور البيانية:

وهي من أهم العناصر التي يلجأ إليها منشئ النص لصياغة تجربته الشعورية والتعبير عن أفكاره بوضوح وعمق، ويؤتي بها عادة لتقوية المعنى وتجسيده قصد تحقيق الفهم من جهة ولخلق تفاعل داخل النص تتبادل خلاله أطراف العملية التعليمية أدوارا فاعلة يتأثر بعضها ببعض، ويتحول فيها كل طرف إلى مرسل تنعكس انفعالاته على الطرف الآخر فيزداد النص حيوية، وبقدر ما تكون سعة خيال الشاعر أكثر وأقدر على توظيف الصور البيانية بقدر ما يكون تجاوب المتعلم أحسن وإقباله على تحسس المعنى وتقبله أفضل يقول هيوم " فإن كان هدف البلاغة هو الإقناع (...) فهدف الشعر هو الإقناع من خلال الانفعال والخيال " (9).

فكل ما تمت الإشارة إليه في هذا العنصر يعد من أهم المظاهر التي تقوم عليها التداولية.

ج/ الأساليب الخبرية والإنشائية:

فلعل هذا العنصر أهم مبدأ احتفت به التداولية وخصّت له النظرية المسومة بـ "الأفعال اللغوية" التي قسمت بحسب تصنيفاتها إلى مجموعات، تؤول فيها النصوص إلى أفعال لغوية، أو مجموعة من المتتاليات لأفعال اللّغة، كالوعود والاستفهامات والتهديدات

والطلبات والأوامر، وللاشارة فإن الفعل اللغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقصد المتكلم ونواياه وبه يتحدد الغرض من أي فعل لغوي ⁽¹⁰⁾، وهي تنتوِّع في نص الشابي نحو :

أ - النداء في قوله: ألا أيها الظالم المستبد... ففيه صيحة جريئة لثائر وغرضه تنبيه الغاصبين وتهديدهم.

ب - الأمر في قوله : تأمل هناك ... والذي يفيد الإنكار والسخط على المحتل الغاشم .

ج - النهي المؤكد : لا تهزأ... وغرضه التهديد .

وهي أساليب أقدر على تحقيق قانون الأثر والاستجابة في طرفي العملية التواصلية (المرسل والمتلقي) من جهة وإحداث التفاعل مع النص من جهة ثانية لتؤدي جميعاً إلى انتقال مقاصد المرسل / الشاعر إلى المتلقي / المتعلم بهدف الثورة على المحتل وهو بعد تهدف التداولية إلى تحقيقه من خلال هذه الأفعال اللغوية التي تتحول إلى أفعال منجزة قابلة للقياس والتعديل .

د/ المحسنات :

وتقسم بحسب نوعيتها إلى لفظية ومعنوية وتهدف جميعاً إلى تحسين أسلوب التواصل وإيقاء الأثر مستمراً، فيقدر ما يحسن منشئ النص توظيفها يكون لها وقع حسن على المتلقي فيبدي قبولاً واستحساناً يتجلى في الاستجابة التي تحقق بها المنفعة . ومن ذلك التصريح في البيت الأول في نص مفدي زكرياء .

تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر

والجناس الناقص: بين "الصحائف" و"الصفائح".

والتناص : في البيت الأول من خلال سورة القدر في قوله تعالى { إنا أنزلناه في

ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر } .

ومفاده أن الإعلان ببداية الجهاد والكفاح المسلح قد صدر من الله إلى قادة الحركة الوطنية ليكون بذلك حداً فاصلاً للعمل السياسي السلمي الذي لم يحقق أهدافه فكان لهذا التوظيف أثر جلي على المتلقين ليس الخاصة منهم فحسب بل كذلك العامة، حتى ساد الاعتقاد في بعض الأوساط أن الثورة التحريرية المباركة إلهام من الله تعالى، ولذلك تحقق

النّصر أمام أعلى قوة استعمارية . فالتناص مظهر من مظاهر التّداولية به تتجسد المعاني المجرّدة وتتجلي .

هـ/ العاطفة :

أمّا العاطفة فترتبط بصاحب النّص، يصدر فيها عن تجربة شعورية حقيقية، يحاول أو يقصد نقلها إلى المتلقين، وتقاس بالصّحة والاعتدال والقوة الحيوية والاستمرار والثبات ومدى بقاء أثرها في نفوس المتعلمين. فكّلما كانت الأسباب التي أثارها صحيحة حصل التأثير والاستجابة للذين بهما تتحقق الفائدة، وكلما اتسمت بالخصوبة والثراء والتنوّع كان التأثير أقوى والاستجابة أكثر.

فالعاطفة من أهم العوامل التي يوليها المؤلف باعتباره مرسلًا أهمية كبرى، ولعلّ النص الناجح هو الذي يوظف صاحبه (الجانب العاطفي بشكل يؤثر على المتلقي/المتعلّم تأثيرًا يرسخ في أعماقه ليتحوّل إلى معيار يميّز به النّص الذي يستحسنه من الذي يستهجنه.

الخاتمة:

إن التداولية اتجه في اللسانيات جاء خلاصة لجهود القدامى لا سيما عند تناولهم العملية الإبلاغية وبحثهم سبل الإبانة عن المعاني التي يقصد إليها المتكلم، ومدى مطابقة المقام لمقتضى الحال، وقضايا أخرى كالتأثر والتأثير والفهم. فقد استفادت في العصر الحديث من عدة مفاهيم إثر تداخلها مع عدة حقول معرفية قريبة منها، وهو ما جعلها تشكل منهاجًا يتسم بالنظرة العلمية يملك آليات مكنته من الدراسة الدقيقة للعملية التخاطبية التواصلية داخل المؤسسة المجتمعية.

ولئن كانت التعليمية إحدى الحقول المجاورة لهذا العلم، تتم في إطار أضيق منه، وتقوم على نفس العناصر لتحقيق نفس الأهداف، فإن المشتغلين بها ظلوا يولون اهتماما لما آلت إليه نتائج التداولية فنظروا إلى اللغة على أنها أداة للتواصل وسلوك يظهر في المتعلم في شكل معارف ومهارات وعادات لسانية تقوم على الفهم والإفهام ومن ثم تحقيق الأهداف التي تصبو إليها العملية في مختلف أبعاده.

الهوامش:

1- محمد الدريج، التدريس الهادف، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة 1990، ص. 67.

2 - منهاج اللغة العربية وآدابها: مرحلة التعليم الثانوي، الجزائر، 1994، ص5 وما بعدها.

3- A.j.Greimas et J. courtes, dictionnaire de la théorie du langage, hachette Paris, 1993 p.208.

4 - محمد الولي: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي، بيروت، ط1، ص 29.

5 - الكتاب المقرر: المختار في الأدب والنصوص ص 14.

6 - الشابي: إلى الطغاة عن الكتاب المقرر، ص 143، 144.

7 - روبرت دي يوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، 1998 - ص105-108.

8 - الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ ج م ع ج 1 ط 1 1975 ص 46 .

9 - شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي، دراسة سيكولوجيا التذوق الفني، سلسلة المعرفة، مطابع الكويت، مارس 2001، ص 86.

10 - محمد أديوان: نظرية المقاصد بين حازم القرطاجي، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة / نقلا عن راضية بوبكري: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ص 59.

المراجع:

1- المصحف الشريف، برواية أبي سعيد عن عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش، لقراءة نافع بن عبد الرحمن.

2- وزارة التربية الوطنية، المختار في الأدب والنصوص، السنة الثالثة من التعليم الثانوي 2001-2002.

3- وزارة التربية الوطنية: منهاج اللغة العربية وآدابها، مرحلة التعليم الثانوي، الجزائر ص 94 .

4- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

- 5- محمد الدريج: التدريس الهادف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، سنة 1999.
- 6- محمد الولي: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي- بيروت.
- 7- الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، ج م ع، ط1، 1975 .
- 8- شاكر عبد الحميد: التفصيل الجمالي: دراسة سيكولوجيا الذوق الفني، سلسلة المعرفة، مطابع النجاح، الكويت . 2001
- 9- عبد القادر المهيري وآخرون: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية - تونس : ط2 - 1990 .
- 10- راضية بوكري: الأحاديث النبوية في ضوء اللسانيات التداولية، الأربعون النووية أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير (مخطوط). قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 2001 - 2002 .
- 11- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة الدكتور تمام حسان، 1998.
- 12 - A. J Greimas et j. courtes, dictionnaire de la théorie du langage - hachette - Paris - 1993.